

شأن الطب التقليدي والإستراتيجيات المجتمعية في مكافحة كوفيد ١٩

أَنْهَلَا بِهَسَهِنَا أَوْلِيَا رَهِيْنِيْنَه

وجدت الجماعات المهجرة ذوات الأصل الإفريقي في كولومبيا تهميشاً كبيراً في أثناء الجائحة ولكنها أخذت من معارف سلفها لتحاول أن تخفف وطأة داء الحمة التاجية (كوفيد ١٩).

يبلغ السكّان ذوو الأصل الإفريقي في كولومبيا نحو ١٢٪ بالأقرب من جميع النّازحين الداخليين في البلد. إذ قسرت آلاف الجماعات والأسر ذوات الأصل الإفريقي على ترك أرضها، والانتقال إلى المناطق الحضرية في أطراف مدن كيوغوتا وميدلين وكالي. وما تزال جماعات أخرى محصورة في الأراضي التي تسيطر عليها الجماعات المسلحة غير الشرعية وعصابات احتكار المخدرات (الكرتيل).

ولقد نقلَ القادة ذوو الأصل الإفريقي بعض ما استفادوه من عبر الجوائح إلى الحيز العملي في الواقع، ومن ذلك إيوبالا التي أضرت بالسكان الأفارقة الذين لا سبيل لهم إلى ماء الشرب، والذين حفروا الآبار ليصلوا إلى المياه الجوفية. وقد كُرت معارف حفَر الآبار هذه عند السكان ذوي الأصل الإفريقي في الإكوادور وهندوراس وفي مجتمعات كويلومبا في البرازيل.

في الوقت نفسه، ظهر الطب التقليدي بقوة في محاولات المجتمعات المحليّة دَحْر الحمة (الفيروس). فهناك تُستعمل الأعشاب وغيرها من النباتات لأغراض طبية ولصنع المطهرات التي تخفف أعراض الحمة (الفيروس) وتمنع انتشارها. وأدت معرفة الطب التقليدي وتطبيقه الذي طبقه هؤلاء في أثناء هذه الجائحة إلى تغيير تصوّرهم لقيمة الطب التقليدي المستمرة.

وفي سنة ٢٠٢٠، اضطر أكثر من ٢٨٥٠٠ شخص ذي أصل إفريقي إلى مغادرة منازلهم هرباً من الاشتباكات بين الجماعات المسلحة. ومع إعادة توطين المهجرين في الأراضي المجاورة، شاركوا معرفتهم في استعمال النباتات والأشجار للأغراض الطبية، مثل ماتاراتون (غليزيسيدا سييوم)، التي يغلى زهرها للاستهلاك أو الاستعمال في الحمامات، ويعتقد أنها تعين على حفَر جهاز المناعة. قالت تويلا مارتينيز: «علمتنا جدّاتنا الخصائص العلاجية لبعض النباتات الطبية. لقد أعانتنا هذه المعارف ... على تخفيف آثار الملاريا والإنفلونزا والشيكونغونيا وأمراض أخرى».

لا دليلاً علمياً على أن استعمال أو استهلاك مثل هذه النباتات يمكن أن يحمي الناس من داء الحمة التاجية (كوفيد ١٩). ومع ذلك، فالطب التقليدي ذو الأصل الأفريقي هو أحد الأدوات القليلة التي بين أيديهم يحاولون بها تخفيف الأعراض أو منع العدوى.

وقد اعترض السكّان ذوو الأصل الإفريقي مصاعب من حيث أحوال المعيشية والعنصرية والتهميش والإقصاء، وكلها تؤثر في وصولهم إلى الخدمات الصحية والعمل والتعليم. ومنذ بدء جائحة داء الحمة التاجية (كوفيد ١٩)، تأثر الأمن الغذائي وحال التغذية وسبل المعاش عظيم تأثر. فإذ ضاقت سبل الوصول إلى ماء الشرب ومرافق الصرف الصحي تعذر امتثالهم توصيات النظافة -غسل اليدين على انتظام- للوقاية من عدوى داء الحمة التاجية (كوفيد ١٩).

فجاءت استجاباتهم في طريقين: وُضع إستراتيجيات مجتمعية للتخفيف من أخطار العدوى، وبَحْث عن حلولٍ في الطب التقليدي.

إستراتيجيات الحماية

أنشأت بعض المجتمعات المحليّة نظام رَصْد لضبط تحرك الناس، والسعي لَحْص انتشار الحمة (الفيروس) في المجتمعات المحليّة التي يكون وصولها إلى الخدمات الصحية ضيق السبيل لندرة الخدمات ونقص وسائل نقل الخدمات. وفي المناطق الريفية الواقعة على ضفاف النهر، تعيّن مجتمعات المهجرين أحد أفرادها لشراء الطعام والمياه كل شهر من المجتمعات المضيفة المجاورة. ثم إنه أششت مواضع تنظيف مخصّصة لتطهير الملابس وغسل اليدين، وقد مُنح الناس من دخول مجتمعاتهم المحليّة من مناطق أخرى.

وإضافة إلى الفائدة المباشرة لحماية المجتمع، أعانت هذه الأنظمة على الشروع بإعادة تقويم لصيغ التنظيم المجتمعي ومعارف السلف التي عند الكولومبيين ذوي الأصل الإفريقي.



مهجرون مسافرون بالقوارب عند موضع الحدود بين كولومبيا والإكوادور.

شأنه أن يجعل من الممكن قياس التأثير غير المتناسب لعدم المساواة العرقية بين المهجرين، وهو ما سيُسهل من ثمّ وضّح إستراتيجيات مناسبة لمراقبة الجائحة والوقاية منها ومكافحتها في هذه الفئة من السكان.

فمن الضروري لهذا الغرض أن تفتح الدولة أحياناً مؤسسية مع المهجرين للتشاور والمشاركة؛ إذ يسمح هذا بإجراء حوارات عبّارة للثقافات بغية إدماج الطب التقليدي في الاستجابة لءاء الحُمة التاجية (كوفيد ١٩). وقد تكون سياسة العمل الموجب في ميدان الصحة المتعدّد الثقافات مفيدة عند مواجهة الجوائح في المستقبل، ويمكن أن تسهم أيضاً في إصلاح ما أحدثته قرون من التمييز والتهميش والإقصاء.

أهلاً بيهسهنيا أوليا رهيكيه
yesenia-olaya@fas.harvard.edu

منسّقة أكاديمية، وحاملة شهادة في الدراسات الإفريقية الأمريكية اللاتينية، في معهد البحوث الإفريقية الأمريكية اللاتينية، بجامعة هارفرد

Economic Commission for Latin American and the Caribbean (2021). ١
People of African descent and COVID-19: unveiling structural inequalities
in Latin America

(ذوو الأصل الإفريقي وءاء الحُمة التاجية (كوفيد ١٩): الكشف عن عدم المساواة البنوية في أمريكا اللاتينية) bit.ly/ECLAC-African-descent-Jan2021

وفي سياق تعميق وجوه التفاوت العرقي بسبب تأثير داء الحُمة التاجية (كوفيد ١٩) وتقاطعته هو وعوامل أخرى، تُؤكّد المجتمعات المهجرة حاجتها إلى استعمال الطب التقليدي. ثمّ إنّها تشدّد على أنه من غير الممكن أن يُضَمّن لهم خدمات رعاية صحية شاملة ومنصفة وعالية الجودة وتأتي في وقتها، من غير إقرار بعادات أسلافهم وتقاليدهم الثقافية، التي لا يُقرُّ بها في العادة النظام الصحي الوطني. ففتحناج الدولة الكولومبية إلى إدماج الطب التقليدي في أنظمتها وتقوية كفاءتها العبارة للثقافات بإدماج المهنيين الصحيين ذوي الأصل الإفريقي.

المحدّيات الباقية

وجوه الضّعف الشديدة التي تؤثر في المهجرين ذوي الأصل الإفريقي جعلتهم عرضة خصوصاً لكل من الأمراض المعدية وغير المعدية كالسرطان والسكري وأمراض القلب وأمراض الجهاز التنفسي المزمنة. وهذا يجعلهم أكثر عرضة لخطر العواقب الوخيمة التي يأتي بها داء الحُمة التاجية (كوفيد ١٩). وذكر ممثلو السكان ذوي الأصل الإفريقي أن الدولة لم تقرّ بعوامل الخطر هذه عند إعداد وتنفيذ تدابير النظافة التي واجهت بها الجائحة. ويطلب هؤلاء السكان الدولة بإعداد بروتوكولات لرعاية خاصة لذوي الأصل الإفريقي المصابين بءاء الحُمة التاجية (كوفيد ١٩)، وهي بروتوكولات تأخذ في الاعتبار أحوالهم الأساسية.

ومطلب آخر مهم، و هو إنشاء نظام معلومات إحصائية مع معطيات مصنفة بحسب العرق والجنس والسّن. وهذا من